التعريف والنقد

حركة الإحياء اللغوي
في بلاد الشام

الأستاذ شفيق جبري

من جلائل الموضوعات موضوع اللغة ، والسبب في جلالة هذا الموضوع منزلة اللغة في الأمم ، فاللغة إنما هي صورة الأمّة وتاريخها وحضارتها ، فإذا اغتبطنا بظهور كتاب يتصل باللغة على اختلاف أبوابها فغبطتنا في محلها ، وإذا ألمنا من استعمال الحرية في التصرف في أمور اللغة بحسب مشيئة المتصرفين وهواهم فلنا الحق في هذا الألم ، فقد يقع نظرنا في هذه الأيّام على بعض الانحراف عن الذوق في الأساليب ، أو على إخلال بالموسيقى في بعض التراكيب ؛ أو على توليد ألفاظٍ مانظن أنّ بنا حاجة إلى توليدها، فلا يمرّ بنا يوم دون أن نسمع في دور الإذاعـة ، أو نقرأ في الصحف ألفاظاً حديثة مثل : جَدْولة الديون. أو عَسْكرة القضية ، أو ما شابه ذلك ، فقد أصبح لكل واحدٍ منـا حرّية في اختراع اللفظة التي يراها مناسبة للإعراب عن فكرته ، فإذا كان الأمر على هذا الوجه فلا ندري كيف تكون اللغة بعد قليل من الزمن،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقد أشار بعض علماء اللغة في الغرب إلى أن الأحفاد في طائفة من قبائل افريقية لايفهمون لغة الأجداد لكثرة مايولدّ من الألفاظ من حين إلى آخر . أمّـا أن يولـّد العصر ألفاظاً تشتد إليها الحاجة في أبواب العلم والاجتماع والاقتصاد وغير ذلك ويتمّ الاصطلاح عليها ويشيع استعمالها من دون البعد عن مقاييس اللغة وجوهرها فهذا أمر يخفّ الاعتراض عليه ، وأمّا أن يخترع كل واحدٍ منّا لفظاً لما يعنّ له من الأفكار فقد تصبح اللغة فوضى ويصيبنا ما أصاب الأحفاد في قبائل افريقية . إنّا نحرص على وحدة اللغة ونظامها حتى لاتصبح فوضى . ولست أدري أيكون هذا الرأي رأي علماء اللغة في عصـرنا .

يجدر بي بعد الإفصاح عن هذه الفكرة الوجيزة أن أشير إلى كتاب : « حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام » للدكتورة نشأة ظبيان ، فقد تضمّن الكتاب مقدّمة وفصولاً وأبواباً ، أمّا المقدمة فلا سبيل إلى تلخيصها وحسبي التنويه بما اشتملت عليه من أفكار سديدة في منزلة اللغة في الأمم وإني لأكتفي بذكر السطر الأول من المقدمـة لنعـرف كيف تنظر المؤلفة إلى اللغة ، فقد قالت : « الأمة لغتها ، واللغة وعاء فكر الأمة ونبض فاعليتها ، ففي حياة اللغة بقاء الأمة وفي خمولها موتها وتواريها » . وقد أفاضت الدكتورة نشأة في مقدمتهـا في هذا المعنى على قدر ما يستحق من الإفاضة والعناية واستشهدت بأمور كثيرة للدلالة على منزلة اللغة وعلى الاعتناء بحفظها والحرص على حياتها من قبل العلماء في القديم والحديث فلا غنى عن الرجـوع إلى هذه المقدمة الشافية الوافية لإدراك نظرة المؤلفة إلى جوهر اللغة وكيانها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أمّا الأبواب التي تضمّنها الكتاب فهي ثلاثة أبواب وكل باب منها يشتمل على فصول كثيرة ؛ فقد سمّت الباب الأول : حركة الإحياء المعجمية، فتعرضت لمعجمات اللغة في القديم والحديث ، فتكلمت على ترتيبها وتنسيقها وعلى ما يتصل بهـــذا كله ، وعلى مناهجها في شرح الألفاظ وعلى الأطوار التي تقلّبت فيها معجماتنا في عصورها المختلفه ، ولم تغفل في بعض الحالات عن نقد بعض المعجمات في ردّ طائفة من الألفاظ إلى أصولها ، وفي هذا كلـه جهد غير يسير .

وليس هذا كلّه ماتضمّنه فصل المعجمات اللغوية ، فقد انتقلت المؤلفة في الفصول التالية إلى الكلام على أطوار دلالة الموادّ اللغوية في المعجمات من حيث قصور التعريف والابهام والمقالة اللغوية ، وبعد الفراغ من هذا البحث تكلمت على الموسوعات ومعجمات الأعلام والتاريخ الأدبي ومعجمات المعاني ونوادر اللغة في بلاد الشام والتعريب . ولا تغني الإشارة إلى هذه المباحث عن الرجوع إليها وإطالة النظر فيها .

وأمّا الباب الثاني من الكتاب فقد جعل لعلوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة وعلمها والعروض والخط .

وقد اقتصرت في الباب الثالث على ذكر الخصائص العامة لحركة الإحياء اللغوي . ولم تخل الفصول كلها من نقد إذا احتاج الأمر إلى النقد ومن بيان رأي خاص إذا لزم هـذا البيان . وختمت المؤلفة أبواب الكتاب وفصوله بخاتمة ذكرت فيها أهمّ ما وصل إليه البحث في هذا السبيل .

لقد دلّ كتاب حركة الاحياء اللغوي في بلاد الشام على اطلاع صاحبته

هدية مجمع اللغة العربية بالشارقة مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الواسع في علوم اللغة وعلى تدقيقها في المراجع التي رجعت إليها وعلى فهمها لخصائص هذه المراجع وإدراكها لها وفطنتها إلى محاسنها ، كلّ هذا يدلّ على ميلها إلى علوم اللغة وعلى استعدادها للأخذ والرد في هذه العلوم . ولا شك في أن القارىء يشعر بالمجهود الذي بذلته المؤلفة في تأليف كتابها، وإذا كنت لا أرى مجالاً للتنويه بكل ما جاء في محتويات هـذا الكتاب فإني لا أقصّر في أن أشكر للمؤلفة الفاضلة اهتمامها بموضوع اللغة وغيرتها على هذه اللغة التي هي عنوان تاريخنا وحضارتنا .

شفيق جبري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
الشبكة الألوكة www.alukah.net